الاسطوغرافيا العثمانية- التركية حول ثيمة محمية الجزائر في الفترة العثمانية ما بين الموضوعية العلمية والذاتية المؤدلجة

(دراسة اثنولوجية – تاريخية)

د.نعيمة رحماني

جامعة تلمسان – الجزائر

naima.rahmani@mail.univ-tlemcen.dz

الملخص:

تضمّنت الاسطوغرافيا العثمانية- التركية حول ثيمة محمية الجزائر في الفترة العثمانية مؤلفات صُبغت بعضها بطابع الموالاة والتحيّز والتعظيم للدولة العثمانية، ومؤلفات أخرى وردت تحت غطاء العدائية والكره الصريح والمُعلن لهذه الدولة، منها من كانت دائمة السعي والاجتهاد لتقدّم نظرة واضحة المعالم حول الدولة العثمانية، بينما اكتفت مؤلّفات أخرى بتكرار واجترار الأحداث وعرضها عرضا سردياً. فأيٌّ من هذه المؤلّفات الاسطوغرافية الأصحّ؟ من منها يعرض الأحداث بمصداقيّة ومن منها يقدّمها بزيف وأدلجة ذاتيّة؟ ضمن هذا الطرح سنحاول تجاوز الصدمة العلمية والبحث عن المؤلفات الاسطوغرافية الحاملة للأحداث التاريخية بصدق وبموضوعية، مع عرض موجز للمؤلّفات التي احتضنت بعض المغالطات التّاريخية حول ثيمة محمية الجزائر في الفترة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: الاسطوغرافيا، الجزائر، الفترة العثمانية .

Turkish-Ottoman historiography on the theme of the Algerian protectorate of the Ottoman period between scientific objectivity and self-mediation,

Ethnological study – historical

Dr. Naima Rahmani

University of Tlemcen - Algeria

Abstract:

Turkish-Ottoman historiography on the theme of the Algerian protectorate of the Ottoman period included works characterized by the

loyalty, prejudices and magnanimity of the Ottoman Empire, as well as by other works presented under cover of hostility and declared hatred for that state. Including those who have always sought diligently to give a clear vision of the characteristics of the Ottoman Empire, While other works have been repetitive with a narrative presentation. Which of them presents the events with credibility .What are the Ottoman-Turkish lithographic works that managed to get rid of the vestiges of European anti-Ottoman mythology? As part of this thesis, we will try to overcome the scientific shock and search the historical works of events with sincerity and objectivity, and with a brief presentation of works that included historical errors on the theme of Algeria protected from the period Ottoman.

Keywords: Astrography - Algeria - Ottoman period.

المقدمة:

يُعدّ الأرشيف العثماني مصدراً مهماً ومنبعاً لمادة خامّ تعين الباحثين على معرفة جلّ مناحي الحياة في البلاد العربية في الفترة العثمانية، الأمر الذي دفع بنا إلى زيارة مقرّ الأرشيف العثماني بمدينة إسطنبول بتركيا بغية مراجعة الوثائق التي تم تصنيفها والمتعلّقة بإيالة الجزائر، فضلاً عن رغبتنا أيضاً في ترجمة بعض النصوص من اللغة التركية إلى اللغة العربية ذات العلاقة الوطيدة بدراستنا، وعقد لقاءات علمية مع شخصيات تركية وعربيّة ذات باع طويل في التاريخ الإسلامي. وبالعودة إلى الأرشيف العثماني الخاص بإيالة الجزائر وجدنا أن عدد الملفات التي ذكر فيها اسم "جزاير" فقط هو ٨٧٩ ملفا، ويحتوي كل ملف على العديد من الوثائق المصنفة حسب التواريخ. ورغم هذا الكمّ الهائل من الوثائق حول ثيمة محمية الجزائر إلا أن التأليفات الاسطوغرافية التي استعانت بتلك الوثائق تظل غير كافية ولم تسبر كلّ اغوار تلك الأحداث، بل لازالت توجد احداث مجهولة إلى يومنا هذا تتطلّب منّا البحث والتنقيب لمعرفة تاريخنا المُغيّب. من جانب آخر واجهتنا قلّة التأليفات العثمانية -التركية المترجمة الى العربية والتي تناولت ثيمة محمية الجزائر بصفة مستقلة، بل تم تناولها

ضمن المؤلّفات العامة المتعلقة بالدولة العثمانية أو بالبلاد العربية في العهد العثماني. وإن كان الحال يُعدّ نقصاً في المادة العلمية حول محمية الجزائر في تلك الفترة، إلاّ أننا استفدنا من الوضع لمعرفة جوانب من تاريخ الدولة العثمانية، الأمر الذي يضمن لنا الفهم الصحيح لمجريات الاحداث من الكلّ الى الجزء. فالأحداث في بلاد الجزائر لم تكن مستقلة عن الاحداث في عاصمة الدولة العثمانية الاستانة، بل ساد هناك نوع من التأثير والتأثر على مجريات الاحداث بينهما. ولكي نتجاوز تلك الصدمة العلمية المتعلقة باختلاف مشارب واهداف الاسطوغرافيا العثمانية –التركية، تقصّينا عن بعض المؤلفات المهمة حول تاريخ الدولة العثمانية والتي نالت تقدير العديد من الباحثين والمؤلفين خاصة من ألتقينا بهم ومن تناقشنا معهم، ونخصّ بالذكر الدكتور التركي أحمد اوزل، والمؤرخ العراقي فاضل بيات، والمؤرخ اللبناني خالد الجندي والباحث الفلسطيني شعبان صوان، وغيرهم من الباحثين الاجلاّء.

١) نماذج من المؤلفات الاسطوغرافية العثمانية– التركية حول ثيمة محمية الجزائر في الفترة العثمانية ما بين الموضوعية العلمية والذاتية المؤدلجة (اثنولوجياً وتاريخياً)

من بين المؤلفات الاسطوغرافية التركية التي تناولت تاريخ الدولة العثمانية والبلاد العربية بشكل عام، وامتازت بالصبغة الموضوعية ما يلي؛ المؤلَّف الموسوم بـ"تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار"[١] الصادر عام ١٩٧٤م، للمؤرّخ التركي خليل اينالجيك Halil Inalcik (١٩١٦–٢٠١٦م)، الذي عُرف بالتنقيب في خزائن المخطوطات العثمانية والأهتمام بالتاريخ والحضارة الإسلامية بنظرة نقدية وفلسفية، إذ ركّز فيه على الجانب السياسي والقانوني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني للدولة العثمانية، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية عام ٢٠٠٢م من قبل المؤرخ السوري محمد الأرناؤوط (١٩٧٤–٢٠١٧م).إتباعاً للمؤلَّف السابق يمكننا ذكر المؤلَّف الذي يحمل عنوان "تاريخ الدولة العثمانية"[٢]، الصادر في مجلدين للمؤرخ التركي يلماز أوزتونا Yilmaz Oztuna (١٩٣٠–٢٠١٢م)، وهو من أشهر مؤلفاته بسبب موسوعيته العلميّة الشاملة للتاريخ في جميع الميادين السياسية والاجتماعية

والثقافية وغيرها. إذ عرض فيه المؤرخ تاريخ الترك من قبل الإسلام وصولاً إلى العثمانيين بشكل سرديّ تاريخي مفصّل ودقيق. وقد تُرجم المجلدان إلى اللغة العربية من قبل الدكتور عدنان محمود سلمان، صدر الأول عام ١٩٨٨م، والثاني عام ١٩٩٠م. واستكمالاً للمؤرخَين السابقَين يمكننا ذكر المؤرخ الاقتصادي للدولة العثمانية شوكت باموك savket Pamuk (١٩٥٠م) صاحب الجزء الثاني من المؤلّف الموسوم بـ"التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية"[٣] الذي صدر عام ١٩٩٤م في مجلّدين، حيث اهتمّ المؤرخ التركي خليل اينالجيك بتأليف المجلد الأول كاملاً متطرقا فيه لتاريخ الدولة العثمانية من الفترة الممتدة من ١٣٠٠م إلى ١٦٠٠م، بينما اشترك المؤرخ التركي شوكت باموك في المجلد الثاني مع مجموعة من المؤرخين البارزين أمثال المؤرخ خليل انالجيك كمحرّر ليكمّلوا الوقائع الى غاية عام ١٩١٤م، وهو مؤلّف معمق تطرق إلى الجانب الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية بموضوعية وبدون أيديولوجياً بهدف عرض التجربة العثمانية في التجارة والمواصلات والصناعة والاقتصاد، ويعدّ من الركائز المهمة لفهم تاريخ الدولة العثمانية. كما أضاف المؤرخ التركي شوكت باموك مؤلَّفاً آخر بعنوان "التاريخ المالي للدولة العثمانية ١٥٠٠-١٩١٤م" الذي صدر باللغة التركية عام ١٩٩٦م وترجم إلى اللغة العربية عام ٢٠٠٥م، ربط فيه بين التاريخ المالي والأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة وبيّن تأثير كل منها على الاخر. وإلى جانب هؤلاء المؤرخين الأتراك نذكر المؤرخ إيلبير أورتايلي Ilber Ortayli(١٩٤٧م) صاحب المؤلّف "إعادة استكشاف العثمانيين"[٤] الصادر عام ٢٠٠٦م، والذي بيعت منه ١٥٠ ألف نسخة، فكان من اكثر المؤلّفات مبيعاً في تلك السنة في تركيا، الأمر الذي يبرز أهميته وقيمته العلمية. وقد تُرجم إلى اللغات البلغارية واليونانية والإنكليزية، اما اللغة العربية فقد تكفل بترجمتها الدكتور بسام شيحا عام ٢٠١٢م. لقد سعى المؤرخ التركي **إيلبير أورتايلي** عن طريق هذا المؤلَّف إلى محاولة تغيير التصورات السابقة والضبابية التي عتَمت تاريخ الدولة العثمانية، إذ عرض فيه هوية الدولة العثمانية بما فيها من حياة اسرية، وسياسية وإدارية

وتاريخية وأدبية وفنية، كما عرض بعض المسائل المهمة التي أثارت الكثير من الجدل مثل مسألة تجنيد الفتيان في الجيش العثماني، وسنعود إلى هذه المسألة لاحقاً لما عرفته من جدل في العالم الغربي والعالم الإسلامي. إلحاقاً بالمؤلَّفات التركية السابقة التي يشهد لها بعض المؤرخين الذين ذكرناهم سابقاً بالموضوعية العلمية نذكر المؤلَّف الموسوم بـ" الدولة العثمانية المجهولة"[٥] الصادر باللغة العربية عام ٢٠٠٨م، للمؤرخ التركي أحمد آق كوندوز Ahmed Akgunduz(١٩٥٥م) المتخصص في تاريخ الحقوق الإسلامية، بالاشتراك مع المؤرخ التركي سعيد اوزتورك Said Ozturkالمتخصص في التاريخ الاقتصادي، إذ تمّ تناول بعض المسائل المهمة عن طريق ٣٠٣ سؤالاً وجواباً حول النظم الاجتماعية والقانونية والإدارية ولاقتصادية وغيرها المتعلّقة بالدولة العثمانية، وتمّت الإجابة على الأسئلة بالدليل الذي يوثّق الردّ من منطلق رغبة المؤلفَين في إيضاح الحقائق وبيانها.

هذا بالنسبة للمؤلَّفات التي تناولت التاريخ العثماني وتاريخ البلاد العربية بشكل عام، اما المؤلَّفات الاسطوغرافية التركية الحديثة التي تناولت تاريخ الجزائر حصراً، فيمكننا أن نورد على سبيل المثال المؤلَّف الموسوم بـ"السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر(1827-1847) [٦]، للمؤرخ التركي آرجمنت كوران Ercument Kuran (١٩٣١-٢٠٠٩م)، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه نوقشت عام ١٩٥٣م، ونشرت ضمن مطبوعات كلية الآداب بجامعة إسطنبول عام ١٩٥٧م، وتُرجمت الى اللغة العربية من قبل المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي (١٩٣٨م) عام ١٩٧٠م، وقد استند فيها مؤلفها التركي آرجمنت كوران على وثائق الارشيف العثماني، مؤرِّخاً بذلك لموقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي بكلّ موضوعية، وناقلاً للأحداث التاريخية كما وردت في الوثائق، إذ تطرق لمسألة معرفة الباب العالي بخبر الحرب بين فرنسا وأوجاق الجزائر في ٢ أوت ١٨٢٧م، ثم محاولة الدولة العثمانية إيقاف الحملة ضدّ الجزائر عن طريق رفض التكليف الفرنسي بشان السماح لوالي مصر بالقيام بحملة ضدّ الجزائر، بعدها علم الباب العالي باحتلال الجيش الفرنسي للجزائر

في ٦ اوت ١٨٣٠م، يليها الجواب على مذكرة سفير فرنسا في ١٤ اوت ١٨٣٠، ثم محاولة الدولة العثمانية استرداد الجزائر عن طريق محاولة تامين مساعدة من إنجلترا، وبعدها تأكيد(الباب العالي) بصراحة في حقّه في الجزائر وذلك بإعطاء مذكرة لسفير فرنسا في ١٣ مارس ١٨٣١م، ثم كتابة ولاية الجزائر في دفتر التوجيهات المنشور في جريدة "تقويم وقايع" بتاريخ ٧ مارس ١٨٣١م. فضلاً عن الفعاليات التي بذلتها الدولة العثمانية في أوروبا لاسترداد الجزائر، كمساعي السفراء في باريس سبتمبر ١٨٣٤م ومارس ١٨٣٥م، ومساعي السفير في لندن، وبعدها تمّ عرض محاولة الدولة العثمانية استرداد الجزائر بالقوّة عن طريق إنشاء علاقات مع احمد باي والي قسنطينة وتأييده، ثم محاولة أرسال الاسطول العثماني إلى تونس في مارس ١٨٣٦م لمساعدته، وبعدها محاولة إيقاف عقد المعاهدة بين فرنسا والأمير عبد القادر، ومحاولة أرسال الاسطول العثماني الى تونس مرة ثانية لدعم باي قسنطينة في جويلية ١٨٣٧م، يليها تأكيد الدولة العلية من جديد حقها في الجزائر بعد احتلال فرنسا لقسنطينة أواخر ١٨٣٧م، وفي الأخير وبعد كلّ تلك المحاولات اليائسة اعتراف الدولة العلية بالاحتلال الفرنسي للجزائر. لقد خلص المؤرخ التركي آرجمنت كوران في نهاية اطروحته إلى النتيجة التالية: "في أوّل حوليّة نشرتها الدولة العثمانية عام ١٨٤٧، لم تكتب ولاية الجزائر في جدول الولايات العثمانية، وبهذا يكون السلطان العثماني قد ودّع حقّه بهذا القطر. وفي نفس السنة استسلم الأمير عبد القادر للفرنسيين، وفي السنة التي تلتها انسحب أحمد باي عن الجهاد. لقد ارتأت الدولة العثمانية في البداية الوقوف على الحياد ظنا منها أن اوجاق الجزائر قادرة على صدّ العدوان الفرنسي، ولكنّها عملت فقط لمنع تدخّل والي مصر، وقد نجح الباب العالي في ذلك، إلا أنه أخبر بعد قليل بدخول الفرنسيين مدينة الجزائر. لقد بذلت الدولة العثمانية مساعي سياسية في الاستانة أولاً، ثمّ في أوروبا لإسترداد تلك الولاية القديمة من فرنسا، التي حاولت أحتلال المناطق الداخلية أيضاً. سعى الباب العالي لتامين مساعدة إنجلترا طيلة استمرار القضية الجزائرية، وكان غيوراً على كسب مشاعر النمسا وروسيا، لكنّ لم تؤدّ هذه الفعاليات إلى أي نتيجة، ذلك أن

الدول الأوروبية قبلت سياسة الأمر الواقع الفرنسية، باستقرار فرنسا في الجزائر. وعندما استتبّ الأمر للباب العالي، بعد اخماد ثورة والي مصر الأولى، جرّب استعمال القوّة لإنقاذ الجزائر، ورغب في أرسال الأسطول الى تونس مرتين بقصد مساندة باي قسنطينة المجاهد ضدّ فرنسا، إلا أنه لم يوفّق، وفي النهاية اعترفت الدولة العثمانية بفقدان الجزائر" [٧] .

من المؤرخين الاتراك أيضا الذين اهتموا بثيمة الجزائر المؤرخ عبد الرحمن تشايجي Abdulrahman Al-Shayji ، صاحب المؤلَّف "الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى (١٨٥٨-١٩١١م)" المترجم إلى اللغة العربية من قبل الدكتور علي اعزازي عام ١٩٨٢م، إذ عرض المؤرخ التركي العلاقات التركية الفرنسية ونظام الحكم العثماني في شمال افريقيا، فضلاً عن التنافس بينهما على الطرق التجارية في الصحراء، وكيفية تقسيم وتعيين حدود الصحراء، والمحاولات المتكررة لاستعمار شمال افريقيا, وقد استند فيه على وثائق الأرشيف العثماني والارشيف الإيطالي والاوروبي.[٨] يمكننا في هذا المقام أن نضيف الى المؤلَّفات التركية عن تاريخ الجزائر مؤلَّفاً مهماً جداً لمجموعة من الباحثين الأتراك منهم الدكتور مصطفى بوداق Mustafa Budak (١٩٦٢م)، والدكتور كمال كورلقانKemal Gurulkan ، والدكتور سنان صاتار Sinan Satar وثلّة أخرى من الباحثين الأكاديميين، تحت عنوان "الجزائر في الوثائق العثمانية"[٩] الصادر عام ٢٠١٠م، وقد احتوى على ٩٦ وثيقة عثمانية من وثائق الأرشيف العثماني بإسطنبول، و٣ خرائط، و٤١ صورة فوتوغرافية تتعلق بالجزائر أُخذت من الأرشيف الوطني الجزائري. تمّ عرض الوثائق العثمانية المتعلقة بثيمة الجزائر في المؤلَّف مع ترجمة لمضمونها باللغة التركية، وملخص صغير باللغة العربية عن محتوى الوثيقة، وقد تَرجم تلك الملخصات إلى اللغة العربية المؤرخ العراقي فاضل بيات. تناول الباب الأول من المؤلَّف موضوع الجزائر تحت الإدارة العثمانية، اما الباب الثاني فعرُضت فيه وثائق عثمانية خاصة بالاحتلال الفرنسي والعلاقات السياسية مع الجزائر أبان الاحتلال، بينما تناول الباب الثالث هجرة الجزائريين بعد الاحتلال الفرنسي

ووضعهم القانوني، في حين تطرّق الباب الرابع إلى البطل القومي للجزائر الأمير عبد القادر.

٢) نماذج من المؤلفات الاسطوغرافية العثمانية– التركية الحاملة لبعض المغالطات الإثنولوجية –التاريخية حول ثيمة محمية الجزائر في الفترة العثمانية

تعرضنا سابقاً إلى ذكر المؤلفات الاسطوغرافية التركية الحديثة التي اشتهرت بالموضوعية العلمية عن طريق اعتمادها على الأرشيف العثماني وغيره من المصادر. لكنّها لم تكن دائماً على هذ النّحو من الموضوعية، بل هناك مؤلّفات عثمانية أستند فيها المؤرخون العثمانيون على المصادر التي ألّفها العرب أمثال ابن خلدون، وابن الأثير، وابن عذارى وابن غلبون[١٠] وغيرهم من أجل التأريخ للبلاد العربية. وقد احتوت بعض هذه التأليفات على مغالطات كثيرة يمكن ردُّ سببها إلى أنّ أغلبها كانت تسعى في تلك الفترة إلى إضفاء الشرعية الإسلامية على العهد العثماني بسبب كثرة الجدل حول هذه المسألة، فضلاً عن تغلُّب الذاتية المغلفة بالعاطفة الأخوية الإسلامية عند بعض المؤرخين العثمانيين وصل بعضها إلى درجة تصنيف بعض الأهالي على أنهم أتراك، ومثال ذلك ما ذكره الباحث هشام سوادي هاشم على لسان المؤرخ العثماني عبد الرحمن شرف أفندي في مؤلفه "تاريخ دولت عثمانية" أنه كتب ما يلي:" ان سكانها (الجزائر) جلّهم من المسلمين، وهم في الأصل أتراك هاجروا منذ الفتوحات الإسلامية واستقروا هناك ويعرفون باسم توارك".[١١] وقد كان يقصد في مؤلّفه سكان الجزائر المعروفين في منطقة الصحراء باسم "طوارق" وليس "توارك"، وهذا ان دلّ على شيء فإنه يدل على زيادة العاطفة اللاعلمية الراغبة في جعل الشعب الجزائري تركي الأصل والانتماء.

لقد ذكرنا هنا أنموذجاً من الاسطوغرافيا العثمانية التي احتوت على بعض المغالطات عن قصد أو بدونه، وإذا ما توجهنا صوب بداية عهد الجمهورية التركية، سنجد أن أوّل مؤلَّف عرض تاريخ بلدان شمال افريقيا، وحظي باهتمام كبير من لدن المؤرخين العرب خاصة الذين لا يتقنون اللغة التركية، كان موسوماً بـ"الاتراك

العثمانيون في افريقيا الشمالية"[١٢]عامي ١٩٣٦-١٩٣٧م، للمؤرخ التركي عزيز سامح ألتر Aziz Samih Ilter (١٨٧٧م-١٩٤٨م). وهو من بين أهم المؤلَّفات التي تناولت تاريخ الوجود العثماني في شمال افريقيا، إذ استعان المؤرخ التركي بالمصادر العثمانية والغربية والعربية فضلاً عن الوثائق العثمانية، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية بعد ٥٠ عاماً من اصداره؛ أي عام ١٩٨٩م من قبل الدكتور محمود علي عامر؛ إذ اهتمّ هذا الأخير بترجمة القسم الخاص بتاريخ الجزائر في العهد العثماني، وقد احتوى الجزء الأول على مواضيع مهمة نوجزها في سيرة آل بربروس، وتقسيم البلاد، وغزو مدينة تلمسان، والهجوم الإسباني، ثم تطرق لعهد البكلربايات، والتشكيلات العسكرية لأوجاق الغرب في الجزائر، وهجوم الفاسيين على تلمسان، والتخطيط الإسباني البرتغالي لاحتلال الجزائر. ثم انتقل إلى عهد الباشوات، وتحدّث عن نشاط القراصنة، وتمرد القبليين والعلاقات مع الفرنسيين. بينما تطرق في الجزء الثاني لعهد الدايات وكيفية انتخابهم وتبديلهم، وإلى نفوذ اليهود في الجزائر، وأوضاع الإسبان في وهران والهجوم عليها واحتلالها فضلاً عن ذكر أوضاع فاس، وسقوط الجزائر. اما الأقسام الخاصة بتاريخ طرابلس الغرب (ليبيا) وتونس فقد قام الدكتور الليبي عبد السلام أدهم بترجمتها. ورغم الاهتمام الكبير الذي ناله هذا المؤلَّف إلاّ أن واقع الحال جعلنا نصطدم براي المؤرخ العراقي فاضل بيات حول ترجمة الدكتور محمود علي عامر لهذا المؤلّف (القسم الخاص بالجزائر)، إذ أكد قائلاً: "تمنيت لو لم يُترجم هذا الجزء إلى اللغة العربية، فالمترجم أساء إلى العلم والأمانة العلمية بتعليقاته الحاقدة وغير الموضوعية، وعدم تقيده بنقل الأفكار بشكل دقيق او صحيح، بل أنني لا أغالي عندما أقول أنني لم أجد في الكتاب المترجم فقرة واحدة تنسجم مع الأصل التركي، إذ قام المترجم بالتصرف بالترجمة كيفما شاء، فنراه يحذف أفكاراً ويضيف أخرى من عنده دون أن يكون هناك أي رادع يمنعه من القيام بذلك." [١٣] ويبرّر المؤرخ العراقي فاضل بيات موقفه بعرض أمثلة استقاها من الكتاب الأصلي باللغة التركية ثم يقارن بينها وبين النصوص المترجمة التي تقابلها، وأوّل مثال عرضه وترجمه ورد في المؤلَّف الأصلي الجزء الأول

ص١٠٩: "كان في الجزائر مفتيان، كما كانت هناك محكمتان، وكان الأهالي يتبعون المذهبين المالكي والحنفي، ولهذا فان المفتين كانوا من هذين المذهبين، اما المذهب الخامس المعروف بالخارجي فلم يكن له مفتٍ". [١٤] بينما جاءت ترجمة النص نفسه في مؤلَّف "الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية" للدكتور محمود علي عامر ص ١٣٩ على هذا النحو: "وجد في الجزائر محكمتان ومفتيان مفتي للمذهب الحنفي ومفتي للمذهب المالكي، اما المذهب الخامس (الجعفري) فليس له مفتٍ."[١٥] وهنا لاحظ المؤرخ العراقي فاضل بيات أن الترجمة مختصرة جداً، كما تمّت ترجمة المذهب "الخارجي "بالمذهب "الجعفري"، وهذه مغالطة كبيرة وعن إدارة مدينة الجزائر جاء في النسخة الأصلية التركية الجزء الأول ص١١١ ما يلي: "كان يطلق على خارج المدينة (الجزائر) اسم (فاحص)، وعُهِد باستتباب الأمن والنظام فيه إلى "قائد الفحص"، وكانت رئاسة البلدية وقيادة الفحص لا تعدان من الوظائف المعتبرة، ولهذا لم تكونا تنالان الرغبة عند الاتراك."[١٦] بينما ترجم الدكتور محمود عامر النص كما يلي: "أما الحارس في خارج المدينة فيقال له (الفاحص) وهو مكلّف بضبط الأمن والمحافظة على سلامة الناس وامنهم، ورئيسهم قائد الفحص، وبما أن وظيفة قائد الفحص وموظفيهم لا يعتبران من الوظائف الشريفة بنظر الاتراك، لهذا تخلّوا عنها للأهالي أو الأسرى الذين اعتنقوا الدين الإسلامي مجدّداً."[١٧] وهنا نلاحظ أن الترجمة لا علاقة لها بمعنى النص الأصلي بل يوجد تحريف للمعنى عن قصد أو بدونه، الأمر الذي يؤدي إلى اعتماد الباحثين على مغالطات تاريخية ومفاهيم خاطئة، غيرت المعنى تماماً. فضلاً عن أن المترجم تصرّف في الترجمة وأضاف الجملة الأخيرة من نسج خياله عندما قال: " ان وظيفة قائد الفحص وموظفيهم لا يعتبران من الوظائف الشريفة بنظر الاتراك، لهذا تخلّوا عنها للأهالي أو الأسرى الذين اعتنقوا الدين الإسلامي مجدّدا." وهو أمر لم يذكره المؤرّخ عزيز سامح ألتر بتاتا. وفي الفصل الخاص بعهد الدايات، خاصة مسألة انتخاب الداي وتبديله يقول المؤرخ عزيز سامح ألتر في كتابه الأصلي التركي الجزء الثاني ص٣-٤ ما يلي: "والحال أن الرواية القائلة بأنه قُتل سبعة باشوات في يوم

واحد ما هي إلا خرافة، وكان القتلة يختارون أحداً من بينهم ويعينوه دايا وفي هذه الأثناء كان الأسرى يقومون بسحب جسد الداي المقتول إلى الفناء الخارجي."[١٨] اما المترجم محمود علي عامر فترجم مسألة انتخاب الداي كالآتي: "وتذكر الروايات أنه قتل في يوم واحد سبعة باشوات، ومن الممكن أن تكون هذه الرواية خرافة أكثر مما هي حقيقة واقعة...نصّ القرار المتّخذ بشأن اعتماد النظام الجديد على أن ينتخب الداي من قبل مجلس العموم...أما إذا عُين الداي بالقوة فان القتلة يذهبون مباشرة إلى قصر الجنينة ويدّعون أنهم غير راضين عن تصرفات الداي، ويُعلنون عن تعيين داي جديد، وفي مثل هذه الحالة يحدث سفك دماء...ومن ثم يُعلن عن انتهاء واتمام عملية انتخاب الداي ثم يُمسح الصالون بأجساد الأسرى المقتولين من قبل الداي."[١٩] وهنا تتبادر إلى ذهن المؤرخ العراقي فاضل بيات وإلى ذهننا نحن أيضاً عدة تساؤلات، فموضوع النص الأصلي يدور حول مقتل الداي وانتخاب آخر محلّه، كيف إذن يتم مسح الصالون بأجساد الأسرى المقتولين؟ ولماذا؟ وهل يُقتل الأسرى من قبل الداي صاحب أعلى مرتبة في الهرم الإداري الجزائري؟ واثناء عملية انتخابه؟ لقد ذكر المؤرخ التركي عزيز سامح ألتر الأسرى باعتبارهم من يقومون بسحب جسد الداي المقتول إلى الفناء الخارجي، ولم يذكر بتاتا أن الداي هو الذي يقوم بمسح صالونه بأجساد الأسرى، وهنا مغالطة تاريخية كبيرة، تنمّ عن عدم فهم للنص الأصلي وترجمته ترجمة خاطئة تؤدي إلى التشويش الفكري وتزييف الأحداث التاريخية. وعن مسألة مسكوكات أوجاق الجزائر ذكر المؤرخ التركي عزيز سامح ألتر في كتابه الأصلي الجزء ٢ ص١١٤ نصا ترجمه المؤرخ العراقي فاضل بيات مفاده: " كانت النقود الإسبانية تستعمل بين الأهالي تحت اسم "أبو مدفع" كما كان الذهب الإسباني متداولاً أيضاً. وكانت نقود الايالات الثلاث يتم تداولها في بعضها البعض وذلك بسبب الصلات التجارية والسياسية والعرقية، كما كانت العملة العثمانية وكذلك العملات المصرية والفاسية يتمّ تداولها فيها أيضاً (الايالات الثلاث)."[٢٠] بينما ترجم الدكتور محمود علي عامر النص الأصلي كالتالي:" أطلق أهالي تونس والجزائر وطرابلس الغرب على النقد الإسباني (بو مدفع)، وقد تداول

الإسبان الذهب في أعمالهم التجارية ونشاطهم السياسي، وكانت نقود الولايات الثلاث (الجزائر- تونس- طرابلس الغرب) مقبولة ويتعامل بها الإسبان، كذلك فقد تداولت العملة العثمانية في ولايات الغرب."[٢١] إن المتأمل في النصين سيعرف لا محالة الفرق بينهما والأخطاء التاريخية الواردة في النص المترجم، والذي زعم أن الإسبان كانوا يتداولون الذهب في أعمالهم التجارية، وكانوا يتعاملون أيضا بنقود الولايات الثلاث، وهذا ما لم يذكره المؤرخ التركي عزيز سامح ألتر بتاتا. ولم يتوقّف الأمر عند حدّ الترجمة الخاطئة للمؤلَّف الأصلي التركي، بل أكّد المؤرخ العراقي فاضل بيات أن المترجم قد سطى على كتاب المؤرخ التركي سامح ألتر بعد أن ترجمه، وأعاد نشره عام ٢٠٠٥ تحت عنوان "المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظلّ العهد العثماني."[٢٢] دون ان يشير إلى صاحبه الأصلي، ونحن في هذا المقام نذكر هذه الحادثة حتى نُعلم الباحثين بأن الأخطاء الواردة في ترجمة المؤلَّف" الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية" هي نفسها الموجودة في المؤلَّف المزعوم للدكتور محمود علي عامر والموسوم بـ: "المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظلّ العهد العثماني"، لهذا وجب الحذر من توظيف معلوماته عند معالجة الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر في العهد العثماني.

اما إذا توجّهنا صوب الموضوعية والذاتية في المؤلّف المشهور "الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية"، سنجد أن القومية سواء العربية او التركية قد طغت بشكل واضح، إذ أثّرت على الموضوعية العلمية وجعلتها في خدمة الأدلجة الذاتية. فها هو المترجم محمود علي عامر يعقّب كنوع من ردة الفعل على ما كتبه المؤلف الأصلي: "قد تأثر (المؤرخ سامح التر) بالجانب العاطفي القومي التركي محاولاً الدفاع عن أبناء جلدته عن طريق نسب البطولات اليهم وتجاهل دور سكان المنطقة، كما أتهم المؤلف عرب شمال افريقيا عامة بالتعاون مع الإسبان وتناسى أن هناك بعض الأسر العربية الحاكمة التي ارتبطت بالإسبان ووقفت معهم ضد العرب والأتراك على حد السواء."[٢٣] وهنا سمح المترجم لنفسه بالتعقيب على كتابات المؤلف بتعبير انحيازي

للقومية العربية مما سمح للذاتية بأن تطغى في عملية عكسية، فكان ينتقي المصطلحات والعبارات التي يترجمها على أساس تلك القومية، إذ ألفنا توظيفه لـ؛ "استولى الاتراك،استيلاء،الهجوم،احتلال، تقسيم وغيرها"،كما أن عدم اتقانه للغة التركية ساعد على تحريف الكثير من المصطلحات والعبارات التي أدت معاني تختلف تماماً عن معناها الأصلي كما أشرنا إليه سابقاً، والملاحظ هنا أيضاً أن المؤلف عزيز سامح التر والمترجم محمود علي عامر قد تأثرا معاً بالقومية في بعض المواضع من المؤلَّف.

وعن الذاتية في مؤلّف محمود علي عامر المزعوم " المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظلّ العهد العثماني"، يذكر المؤرخ فاضل بيات بأن المترجم (المؤلِّف) اعترف بنفسه عن قوميته وذاتيته قائلاً: "بحثت في وثائق العهد العثماني المتراكمة في استانبول، وقلّبت مخطوطات علماء تلك المرحلة، فجمعت وأخذت وترجمت كل ما وقع بين يدي من آثار علمية توضح تلك المرحلة، ولقد بالغت وأنصفت، ليس حباً بالمبالغة ولا طمعاً بالإنصاف، وإنما سعيت وراء العواطف القومية حيناً، وتركت الوثائق تتحدث حيناً آخر....لم أحدّث نفسي عن التزام الحياد في سرد الأحداث وتقويمها، ولم اكن أكثر من مدوّن لأهمّ الأحداث ومعلّق عليها بما يرضي النفس ويريح القارئ."[٢٤] هي إذن اعترافات من قبل الدكتور محمود علي عامر مترجم المؤلّف المشهور "الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية"، والمؤلّف المزعوم لـ " المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظلّ العهد العثماني" بأن الذاتية والقومية قد تغلّبت عليه، وبأنه يقدّم المعلومات التي ترضي نفسه وتريح القارئ ولو كانت مغلوطة

الخاتمة:

أخيراً يمكننا القول أن الاسطوغرافيا العثمانية– التركية قد اشتملت على مؤلفات تناولت البلاد العربية عامة والجزائر بصفة خاصة، منها من سعت إلى إضفاء الشرعية الإسلامية على العهد العثماني بسبب كثرة الجدل حول هذه المسالة، مع زيادة في جرعة العاطفة والذاتية. بينما غلبت على بعض المؤلفات التركية في فترة معينة القومية التركية في مقابل الموضوعية العلمية، ولقد بيّنا ذلك عن طريق عرضنا لبعض النماذج

من المؤلّفات الاسطوغرافية العثمانية –التركية الأكثر شهرة في مجال التاريخ العثماني في بلاد شمال افريقيا، والأكثر استغلالاً من قبل الباحثين خاصة الجزائريين منهم، وقد كان لزاماً علينا الوقوف عندها، بغية إنارة عقول بعض الباحثين حول حقيقة الأحداث التاريخية الواردة فيها. فالمغالطات زيّفت الكثير من الأحداث التاريخية عن قصد أو بدونه، وهذا الأمر غير هيّن أبداً، بل سيؤثّر على عقول الأجيال الحالية والأجيال القادمة أن لم نسعى إلى استدراكها والوقوف على الأحداث التاريخية دون زيف او تحريف. وعلينا كباحثين في مجال التاريخ العثماني أن ندرك جيداً أنه ليس كل ما يقال في بعض الاسطوغرافي العثمانية –التركية حول ثيمة الجزائر في الفترة العثمانية صحيح لا غبار عليه، ومن المسلمات التي يؤخذ بها دون التنقيب عن صحتها، فحتى الكتب العثمانية والتركية لم تخلُ من المغالطات بنسختها الأصلية وحتى المترجمة. ولكي لا نعمّم الأمر على كل المؤلَّفات الاسطوغرافية التركية يمكننا القول أن أغلب توجهات المؤرخين الأتراك المحدثين ملتزمة بالجانب الأكاديمي في محاولة منهم للتوفيق بين الماضي والحاضر.

Conclusion:

Finally, it can be said that Turkish-Ottoman historiography included works that dealt with Arab countries in general and Algeria in particular, some of which sought to legitimize the Ottoman era because of the great controversy on this subject, with an increase in the dose of emotion .Whereas at one time Turkish nationalism dominated in exchange for scientific objectivity, We have shown this in our presentation of some of the most famous Ottoman-Turkish lithographic works on Ottoman history in North Africa, mostly exploited by researchers, especially Algerians.It was incumbent upon us to enlighten the minds of certain scholars on the truth of the historical events it contains. Errors have falsified many historical events, intentionally or without and that will affect the minds of present and future generations if we do not seek to recover them and to stand on historical

events without falsification or distortion. As researchers in the field of Ottoman history, we must understand everything that is said in an Ottoman-Turkish historiography on the subject of Algeria in the Ottoman era. Even the Ottoman and Turkish books have not been misled by their original and even translated versions. We can say that most of the orientations of modern Turkish historians are attached to the academic aspect in order to reconcile the past and the present.

قائمة الهوامش:

١-خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٢- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا المجلد الأول ١٩٨٨م، المجلد الثاني ١٩٩٠م

٣- خليل اينالجيك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، على الرابط https://www.goodreads.com/book/show/ بتاريخ ٢٠١٩/٠١/٠٧م، على الساعة ٠٨.٥١

٤- إلبير أورتايلي، إعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

٥- أحمد ڤ كوندور، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، تركيا، ٢٠٠٨م.

٦- آرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٠م.

٧-المرجع نفسه، ص١١٤ .

٨- عبد الرجمن تشايجي، الصراع التركي- الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ١٩٨٢م.

٩- مجموعة من المؤلفين، الجزائر في الوثائق العثمانية، رئاسة الوزراء، رئاسة دائرة الأرشيف العثماني، انقرة ٢٠١٠م.

١٠-احمد أوزل، طرابلس الغرب في الوثائق والمصادر التركية، مقال في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الصفر، ديسمبر ٢٠١٨م، الأردن. ص ٣٦

١١-هشام سوادي هاشم، الجزائر في الذهنية العثمانية: قراءة لموقف الدولة العثمانية من الجزائر في ضوء مناهج دراسة التاريخ في المدارس العثمانية، من كتاب المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ٢٠١٤م، ص.١٨٣

١٢-عزيز سامح ألتر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

١٣- فاضل بيات، أستاذ جامعي يسطو على كتاب ترجمه وينشره بعنوان "المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظل العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغاربية، تونس، العدد ١٢٢، مارس ٢٠٠٦م، ص١٨٩-١٩٠

١٤-المرجع نفسه، ص١٨٩

١٥-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص١٣٩

١٦-فاضل بيات، مرجع سابق، ص١٩٠

١٧-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص١٤٤

١٨-فاضل بيات، مرجع سابق، ص١٩٠

١٩-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص٤٠٦-٤٠٧

٢٠-فاضل بياتمرجع سابق، ص١٩٠-١٩١

٢١-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص٦٥٩

٢٢-فاضل بيات، مرجع سابق، ص١٩١

٢٣- عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص٦-٧

٢٤-فاضل بيات، مرجع سابق، ص١٩٢

قائمة المصادر والمراجع:

١- أحمد أوزل، طرابلس الغرب في الوثائق والمصادر التركية، مقال في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الصفر، ديسمبر ٢٠١٨م، الأردن.

٢- أحمد دق كوندور، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، تركيا، ٢٠٠٨م.

٣-آرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٠م.

٤-إلبير أورتايلي، إعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

٥- خليل اينالجيك،التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية،على الرابط https://www.goodreads.com/book/show/بتاريخ٢٠١٩/٠١/٠٧م، على الساعة ٠٨.٥١

٦-خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٧-عبد الرجمن تشايجي، الصراع التركي- الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ١٩٨٢م.

٨-عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون ف يافريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

٩- فاضل بيات، أستاذ جامعي يسطو على كتاب ترجمه وينشره بعنوان"المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظل العهد العثماني"،المجلة التاريخية المغاربية، تونس، العدد ١٢٢، مارس ٢٠٠٦م.

١٠-مجموعة من المؤلفين، الجزائر في الوثائق العثمانية، رئاسة الوزراء، رئاسة دائرة الأرشيف العثماني، انقرة ٢٠١٠م.

١١-هشام سوادي هاشم، الجزائر في الذهنية العثمانية: قراءة لموقف الدولة العثمانية من الجزائر في ضوء مناهج دراسة التاريخ في المدارس العثمانية، من كتاب المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ٢٠١٤م،

١٢-يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا المجلد الأول ١٩٨٨م، المجلد الثاني ١٩٩٠م

List of Sources and reference:

- Abdulrahman Al-Shauji, The Franco-Turkish conflict in the Great Sahara, Translation Ali Azzazi, Libyan Arab Jamahiriya and Socialist, 1982.

- Ahmed Akgunduz, Said Uztürk, The Unknown Ottoman State, 303 Questions and Answers on the Facts Absent from the Ottoman Empire, Stopped Ottoman Research, Istanbul, Turkey, 2008.

- Ahmed Ozel, Tripoli West in Turkish documents and sources, article in the Journal of Studies in the Humanities, No. 0, December 2018, Jordan.

-Aziz Sameh Alter, Ottoman Turks in North Africa, translated by Mahmoud Ali Amer, Dar al-Nahda al-Arabiya, Beirut, Lebanon, I, 1989.

- Ercument Kuran, Ottoman policy vis-à-vis the French occupation in Algeria, translation of Abdeljalil Tamimi, publications of the Tunisian University, 1970.

-Fadil Beyat, university professor who steals a book that he adapted and published under the title "The reference in the conditions of the Arab Maghreb in the Ottoman era", Maghreb Historical Magazine, Tunisia, No. 122, March 2006.

- Group of authors, Algeria in the Ottoman documents, Prime Minister, Presidency of the Ottoman Archives, Ankara 2010.

-Halil Inalcik, Economic and Social History of the Ottoman Empire, at https://www.goodreads.com/book/show/ from 07/01/2019 to 08:15.

- Halil Inalcik, The history of the Ottoman empire of the rise to decline, translated by Mohammed Arnaout, Dar al-Madar al-Islami, Beirut, Lebanon, 2002.

- Hisham Sawadi Hashem, Algeria in the Ottoman mentality: a reading of the position of the Ottoman Empire of Algeria in the light of the history curriculum in Ottoman schools, the book of the historian Nasser al-Din Saidouni, pioneer of Ottoman studies in Algeria, Al-Rashad Library, Algeria,

- Ilber Ortayli, New Exploration of the Ottomans, translated by Bassam Sheha, Arab Science Publishers, Beirut, Lebanon, December 1, 2012.

- Yilmaz Oztuna, History of the Ottoman Empire, translation by Adnan Mahmoud Salman, publications of the Faisal Foundation for Finance, Istanbul, Turkey Volume I 1988, Volume II 1990